الفصل الخامس

المقابلات

المقابلات

يتحدّث الصحافيون غالباً عن تواجدهم «على الأرض» أو «في الحقل» عند إجراء المقابلات أو عند قضاء الوقت في الأماكن التي يكتبون عنها. غالباً ما يقوم الباحثون بالأمر نفسه، كذلك أيضاً الأشخاص المنتمون الى منظّمات غير حكوميّة.

«أنا سعيدة حين أعمل ويهمّني أن يكون من أقابلهم سعيدين أيضاً».

على الرغم من أنّ هذا الأمر يحدّد جزءاً معيّناً من عمليّة إعداد التقارير، يبقى أنّه مضلّل بمعنى أنّه لا يوجد بالتحديد «أرض» أو «حقل» يطأهما معدّو التقارير. فالمقابلات والتسجيلات، والملاحظات لا تجري في مكان معزول يمكن الدخول اليه والخروج منه، بل تحصل، كما سائر الأمور، في واقعنا المشترك.

تمحورت العديد من المحادثات مع المشتركين في ورشة العمل حول ما يحصل خلال هذه المرحلة من عملية إعداد التقارير، حينما يقابل معدّو القصة أشخاصاً من أجل تقاريرهم.

وقد تمّ التطرّق أثناء الأحاديث إلى أمثلة إيجابية كما سلبية عن تلك المقابلات، وتمّ رفع نقاط يجب أخذها في عين الإعتبار لاحقاً بهدف إجراء مقابلات بصورة أفضل.

بدايةً، تحدّث العديد من الأشخاص عن أهميّة بناء علاقة جيّدة ومحترمة مع الشخص الذي يخبر قصته. تقول ريان سكّر من «كامبجي»: «أنا سعيدة حين أعمل ويهمّني أن يكون من أقابلهم سعيدين أيضاً. وأعي جيّداً أنّه، من أجل الحصول على مضمون جيّد، يجب أن يشعر من نقابلهم بالراحة وأن يسعَوا هم أيضاً إلى التعرّف إلينا».

«على القصص أن تكون محفّزةً».

إنّ بناء هذا النوع من العلاقات يتطلّب إدراك أمور سبق وأن تطرّقنا إليها في الفصول السابقة: أن يعرف كلٌّ وضعيته إزاء الآخر، والتطلّع إلى ديناميات السلطة في كلّ موقف على حدة.

يقول لور مكارم من «حركة مناهضة العنصرية» أنّه يجب على معدّي التقرير أن يعملوا على الشكل الذي يردّ الجميل إلى الأشخاص الذين يقابلونهم: «يجب ألّا تكون العمليّة استغلالا بل أن تنقل السلطة الى الأشخاص الذين يشاركون قصّتهم». وتتابع: «على القصص أن تكون محفّزةً».

تحدثت ضحى قاضي من «سوا للتنمية والإغاثة» عن حضور إحدى الصحافيّات لمقابلة نساء كان أزواجهنّ غائبين أو معتقلين في سوريا. تقول قاضي أنّ «الصحافيّة كانت في غاية الاحترام. لقد جلست معهنّ، لا كصحافية تسجّل تقريراً، إنّما قامت بارتشاف القهوة معهنّ وسألت عن أحوال أولادهنّ».

قبل البدء بالمقابلة، طلبت الصحافية من النساء أن يشاركن فقط بما يرتدّ عليهنّ بالراحة، كما أعلمتهنّ بأنّه، في حال تبدّل رأيهنّ لاحقاً، يمكن لهنّ طلب حذف أيّ جزء من التقرير.

وتابعت قاضي: «لقد بدا الأمر وكأنّه تبادل للأحاديث، كما تمّ تعديله على الشكل الذي أظهر النساء تخبرن عن قصصهن الشخصيّة. إنّه لمن المهمّ بناء الجسور على هذا النحو».

وأعطى المشتركون أمثلة معاكسة أيضاً. فقد قامت ذات مرّة فاطمة الحجّي، الصحافية التي تعيش اليوم في برلين، بترجمة مقابلات الى فريق عمل تلفزيوني في الخارج، وتقول: «لقد كانوا يقابلون امرأة رائعة تترأس منظّمة غير حكوميّة فيما زوجها معتقل في سوريا. ومع ذلك، لم يتعاطفوا معها على الرغم من صعوبة حديثها عن غياب زوجها، بل استمرّوا في طرح العديد من الأسئلة غير اللائقة. لقد استفزّتني طريقة تعاملهم مع هذا الموقف، إذ بدا أنّ تقريرهم أهمّ بأشواط من أحاسيس المرأة وقصّتها».

إنّ مسألة بناء رابط مميّز أثناء المقابلات يعتمد على أسلوب معدّ التقرير. إذا أتى بأفكار وتوقّعات مسبقة، تكون المقابلة على الأرجح من وجهة واحدة وغير متبادَلة. وطالما لم يحصل إصغاء ومشاركة، تخسر المقابلة فرصتها في أن تصبح مميّزة.

يقول عمر سعادة، الذي سبق أن صوّر تقاريرَ لمنظمّة غير حكوميّة في لبنان، أنّه حين قابل عائلات من أجل تقاريره، غالباً ما كان الأفراد يتناولون مواضيعَ مختلفة تماماً: «لقد شعرْتُ بأنّهم يودّون البوح بقصصهم، إنّما يحتاجون إلى المزيد من الوقت للبوح بما لديهم، وهو أمر لا يتقبّله دائماً الصحافيون وسواهم، فعوضاً عن الإصغاء، يقومون بطرح الأسئلة الشائعة، وهذا ما يجعل هذه القصص تتبع بكافتها نمطاً واحداً. فمن الأسئلة التي يطرحونها: «ماذا حصل في سوريا خلال الحرب؟» أو «هل تهدّم منزلكم؟»

ويتابع سعادة بالقول أنّه في بعض الأحيان، كانت تستقبل المنظّمة التي يعمل لديها ضيوفاً من الخارج، وكانوا يتصرّفون وكأنّهم ينتجون فيلماً مصوّراً، إذ، بحسب سعادة، «لم يفسحوا المجال أمام الأشخاص الذين التقوهم بأن يرووا القصص التي كانوا يريدون أن يرووها».

وقال غاري يونج، الذي شغل منصب محرّر في صحيفة الغارديان وعمل كمراسل أمريكي لفترة طويلة، في مقابلة[8] له أنّه «في بعض الأحيان على الأمور التي ليست بقصص أن تكون قصصاً، وأنّ الأجندة الإخباريّة تميل نحو السلطة وأهلها. كذلك، يعتقد الأشخاص في غرف الأخبار أنّه إذا لم يحدث الأمر لهم فهذا يعني أنّه ليس بـ «خبر» بمفهوم «الأخبار».

هذا يوضّح كيف تؤثّر ديناميات السلطة على مهنة إعداد التقارير: «إذ يميل من هم في مناصب مرموقة باتّخاذ القرارات وفقاً لنظرتهم الخاصة عن العالم، ثم يتعاملون مع من يقابلونهم من هذا المنطلق».

ويشير مكارم من «حركة مناهضة العنصرية» أنّ هذا الأمر يتبدّى حين يشعر الصحافيون أنّ لهم أحقّيات كثيرة. ففي هذا النوع من المقابلات، كما يقول، يكون الأسلوب «من أعلى إلى أسفل»، ويتمّ رشق الأشخاص بالأسئلة. ويتابع: «يجب أن يحصل تحوّل بحيث يظلّ الأشخاص الذين يحكون قصصهم مالكين لها. ويجب أن يتمتّعوا بقوة كافية لامتلاك القصص المكتوبة عنهم».

مثال ذلك إحدى الصحفيات التي حضرت لمقابلة عاملة أجنبيّة في مركز العاملات المهاجرات الخاص بحركة مناهضة العنصريّة. يقول مكارم: «لقد كانت منفتحة للغاية وأرادت أن يدير الأشخاص الذين قابلتهم المحادثة. وكانت أسئلتها على الشكل التالي: «كيف تتعاملين مع مشاكل الحياة اليوميّة» أو «ما الذي يسعدك؟». كما بعثت برسالة صوتيّة قبل مجيئها تقدّم فيها نفسها وتقول للعاملة الأجنبيّة: «إذا شئتِ الحديث فأنا جاهزة، وإلّا لن ألزمك بالكلام».

«يجب أن يحصل تحوّل بحيث يظلّ الأشخاص الذين يحكون قصصهم مالكين لها».

تدير حركة مناهضة العنصريّة اليوم برنامجاً لبناء القدرات الإعلاميّة لأفرادها، ويتمّ تطويره باستمرار. «لقد عقدنا جلسة مؤخراً حول كيفيّة إجراء مقابلة مع الصحافيين كيف يتمّ الردّ على الأسئلة الصعبة، وتحوير بعض المحادثات، وتحديد النمط والحدود. كما يختصّ جزء من التدريب بالأشخاص الراغبين في إنتاج وسائل إعلاميّة خاصة بهم».

وتحدّث المشتركون أيضاً عن إعداد جلسة المقابلة بحدّ ذاتها، لا سيما عن الموجب الملقى على عاتق معدّي التقارير بالتأكّد من أنّ الأشخاص الذين يقابلونهم يدركون تداعيات الحديث إليهم.

وبحسب الصحفية الأمريكية أبّي سوويل العاملة في لبنان، قد يكون من الصعب على الأشخاص التبصّر في ما يمكن أن ينتج عن مشاركتهم بقصصهم. «ثمة أحيان أجريت فيها مقابلات ثمّ تنبّهت إلى أنّ هؤلاء الأشخاص غير معتادين على التعامل مع وسائل الإعلام، فهم لا يفهمون ما هو الصحافيّ».

8 | thehindu.com/opinion/interview/the-further-you-are-from-power-the-more-you-see/article30925158.ece

ففي مثل هذه الحالات، تتّخذ سوويل إجراءات وقائية قدر الإمكان: «حتى لو وافق الأشخاص على أن أستعمل أسماءَهم، فأنا أعتكف عن الأمر فيما لو قدّرت أنّ هذا الاستعمال قد يسبّب لهم ضرراً».

في لبنان كما في سواه، إنّه لمن الشائع أن تتمّ مقابلة أشخاص من جماعات اللاجئين أو النازحين في مناسبات عديدة من أشخاص من مختلف المجالات. فتارةً، يأتي عمّال ميدانيون من منظّمات غير حكوميّة أو موظّفون من الأمم المتحّدة للسؤال عن مسألةٍ ما، وطوراً، تحضر الصحافة العالمية للتحقّق من مسألة مختلفة.

أحياناً يقوم أشخاص من صفات مختلفة من نفس المنظّمة غير الحكوميّة بزيارة نفس العائلة، إنّما من أجل غايات مختلفة. في هكذا أحوال، لا يتضّح دائماً الإختلاف بين مقابلة وأخرى.

وروى المصوّر سعادة أنّ الأشخاص الذين صوّرهم اعتقدوا أنّ المقابلة ستحسّن من أحوالهم: «ففي حين كنت أقابل ربّة عائلة عن التربية والتعليم مثلاً، كانت تحدّثني أيضاً عن مشاكل الماء والطعام. لماذا؟ لأنّها كانت تعتقد أنّها ستحصل على المساعدة».

على الصحافيين المستقلّين أن يتنبّهوا إلى هذا الموضوع. تقول سوويل: «أحياناً يتبيّن لي لاحقاً أنّ الأشخاص يظنّون أنّني أعمل مع الأمم المتّحدة، أو أنّهم سيتلقّون العون إذا قالوا لي أمراً معيّناً». في هذه الأحوال، تحيلهم على منظّمات تقدّم لهم المساعدة والدعم.

كما تحدّث مشتركون آخرون عن فكرة «ردّ الجميل» لمن تمّت مقابلتهم. وقالت إنجا هايدارووِيتش، طالبة الدكتوراه الباحثة عن موضوع الهجرة في لبنان، أنّها تحاول إيجاد طرق لتقديم الأشياء في المقابل.

«ليس لي الكثير من الأشياء لكنّني أملك الوقت مثلاً، لذلك عادةً ما أقدّم ورش العمل ودروس المحادثة، وعموماً مساحات يعبّر فيها الأشخاص عمّا يريدون وأقوم بتحديثها في بحثي. قد يكون البحث عمليّة تضامن. وأنا أحاول أن أجعله عمليّة تبادل للآراء قدر الإمكان».

«قد يكون البحث عمليّة تضامن».

وذكر مكارم من حركة مناهضة العنصرية هو أيضاً مبدأ المعاملة بالمثل وضرب مثالاً على منظّمة جمعت شهادات من عاملات أجنبيات من أجل إعداد التقارير. يقول في هذا الشأن: «لقد كانت عملية رائعة. لقد أخذوا وقتهم في البداية للقاء الجميع، ثم أطلعوهنّ على التقرير بأكمله.

فهذا الأمر لم يطرح مشكلة التوقّعات الخاطئة، بل كان الجميع يشارك، وساد جوّ من الأمان والثقة، فحتى حين قام البعض بالحديث عن تجارب مؤلمة، كانوا يتلقّون الدعم».

وفي رأي مكارم أنّ هذا الأمر هو تعويض عادل للأشخاص مقابل وقتهم، لكنّه أضاف: «ليس هذا ما يحصل دائماً حين يتّصل الباحثون والصحافيون بحركة مناهضة العنصرية من أجل التواصل مع العاملات الأجنبيات. فبعضهم سألوا عمّا تتقاضاه العاملات الأجنبيّات، وكأنّه يختلف عن رواتب الباقين. فهذا أمر غير مقبول، فالراتب يقوم بالمهمّة نفسها بالنسبة للناس أجمعين».

إذا لم تجرِ المقابلات على «أرض» أو «حقل» يمكن مغادرته حالَ انتهاء الأمر، فهذا يعني أنّ الرابط القائم مع الشخص الذي تمّت مقابلته لم ينته عند هذا الحدّ.

يقول المصوّر سعادة أنّه قد تمّت مقابلته من قبل صحافيّ، ولم يستمرّ الرابط فيما بينهما لاحقاً. وشعر سعادة، كما يقول، أنّها «علاقة عابرة»: «حاولت التواصل معه لاحقاً لكنّه تجاهلني».

علاقة عابرة:
«حاولت التواصل معه لاحقاً لكنّه تجاهلني».

ثم بعد انفجار الرابع من آب في بيروت، عاد هذا الصحافيّ ليتّصل بسعادة من أجل مقابلة جديدة: «لم أقبل بالأمر، فهو لم يكن قد حافظ على الرابط الذي نشأ جرّاء المقابلة الأولى».

وقد عبّر العديد من المشاركين عن رغبتهم في استمرار التواصل مع الأشخاص الذين يقابلونهم أثناء إعداد تقاريرهم. وتقول فاطمة الحجّي، الصحافية في برلين، أنّها لا تؤمن بمبدأ أنّه «على الصحافيّ أن يتحاشى الانخراط شخصيّاً في القصة»، فهي تعارضه لأنّه بحسب أقوالها: «يحوّل الأشخاص الذين تقابلهم إلى مجرّد مواد تخدم قصّتك». فهي، على العكس، تحبّ أن تكون قريبة من الجماعة. «هذا ما أحبّ فعله عند العمل على تقاريري».

وأفادت شهرزاد سراج، الكاتبة من فرنسا، أنّها تستمتع كثيراً في وقت المقابلة: «جميلٌ أن تجلس أمام من يخبرك بكلّ شيء عن حياته. فأنت لا تعرفه، ومع ذلك يخبرك بكلّ شيء. إنّ في هذه الخبرة قمّةَ الإنسانيّة». وهي غالباً ما تبقى على تواصل مع الأشخاص بعد انتهاء المقابلة: «أريد أن أطمئنّ على أحوالهم. لا أعني بذلك أنّنا نصبح أعزّ الأصدقاء، لكنّني أرسل إليهم رسالة ربّما مرة في السنة. فأنا باختصار لا أرى الشخص كمشروع أعمل عليه».

المقابلة أكثر من مجرّد تلقّي الأقوال وإثبات الآراء والمعتقدات، المقابلة هي تواصل والتزام.

إذا ما أخذنا هذا الأمر في عين الإعتبار، لا تكون المقابلة على قدر المساواة فقط، إنّما تتعزّز إمكاناتها أيضاً.

إنّ معدّي التقارير الذين يدخلون المحادثات بعقليّة منفتحة وفضول للإصغاء والاكتشاف - ربّما أيضاً لإثبات أنّهم على خطأ، ليسوا أكثر صدقاً مع الأشخاص الذين يقابلونهم فحسب، بل مع القصص التي يعدّونها أيضاً. وهذا النوع من القصص هو الذي يستحوذ العالم بشكل أفضل.

الأسئلة في هذا الفصل:

كيف تظهر دينامية السلطة أثناء المقابلات واللقاءات؟

كيف يمكن للمقابلات أن تكون أكثر تبادلاً بطبيعتها، لا مجرّد عملية تجاريّة؟

ما نوع القصص التي تتأتّى من مقابلات أكثر مساواةً وانفتاحاً؟